

الإسلام السياسي والإعلام العالمي: حدود الهوية الدينية

*Political Islam and Global Media: The Limits of Religious Identity*حورية قصبة^{1*} ، علاء الدين بورزق²¹ مخبر الدراسات القانونية البيئية جامعة قلمة (الجزائر)، gassaa.houria@univ-guelma.dz² جامعة سوسة، Bourezgallaeddine5@gmail.com

تاريخ النشر: 2021 / 07 / 10

تاريخ القبول: 2021 / 07 / 05

تاريخ الاستلام: 2021 / 05 / 15

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الحرب الإعلامية التي تشنها وسائل الإعلام العالمية مستهدفة تشويه صورة الإسلام، والترويج لمغالطات تمس الهوية والقيم ... وكل ما يدخل في سياقه، ومن خلال قدرتها على التأثير في الوعي العام وتشكيله أنتجت صورة مشوهة وغير متوازنة للإسلام والمسلمين، وسوقت لما أصبح يطلق عليه بالإسلاموفوبيا، واصفة هذا الدين بالراديكالية والعنف، والتطرف. الأمر الذي أدى إلى خلق حالة من الخوف والكراهية للإسلام والتي تجلت في السلوكيات العنيفة والتحيز السليبي ضد كل ما هو مسلم في المجتمع الغربي، ولمواجهة مختلف أشكال الحرب الإعلامية الغربية وحماية هويتنا الدينية؛ كان لا بد على الدول الإسلامية أن تتجاوز خلافاتها والسعي لتوحيد وتقوية منظومتها الإعلامية كآلية للترويج للصورة الفعلية للإسلام والمسلمين.

الكلمات المفتاحية: الإسلام السياسي؛ الإسلاموفوبيا؛ الإعلام العالمي؛ الدعاية الإعلامية؛ الهوية والقيم.

Abstract:

This research paper aims to shed light on the media war waged by the global media aiming at distorting the image of Islam, and promoting fallacies affecting identity and values and everything that falls into its context, and through its ability to influence and shape public consciousness, it has produced an unbalanced image of Islam, And marketing of Islamophobia, describing this religion as radicalism, violence, and extremism.

This led to the creation of a state of fear and hatred for Islam, which was manifested in violent behaviors and negative bias against everything that is Muslim in Western society, and to confront various forms of Western media war and protect our religious identity; It was imperative for Islamic countries to overcome their differences and strive to unify and strengthen their media system as a mechanism to promote the true image of Islam and Muslims.

Keywords: *Political Islam; Islamophobia; Global media; Media advertising; Identity.*

* المؤلف المرسل: حورية قصبة

1. مقدمة

على مدى العقود القليلة الماضية أصبح الإسلام نقطة مرجعية مركزية لمجموعة واسعة من الأنشطة السياسية والحجج وحركات المعارضة، فقد تم تبني مصطلح "الإسلام السياسي" من قبل العديد من العلماء من أجل تحديد هذا الانقطاع غير المسبوق للدين الإسلامي في المجال العلماني للسياسة، وبالتالي للتمييز بين هذه الممارسات وأشكال التقوى الشخصية والعقيدة والطقوس المدرجة تقليدياً في الدراسات الغربية تحت فئة "الإسلاموفوبيا، وهو ما كان ضمن مرتكزات السياسة الإعلامية الغربية لضرب القيم وزعزعة حدود الهوية الدينية للإسلام والمسلمين.

يبدو أن الادعاء بأن الأنشطة الإسلامية المعاصرة تستخدم الإسلام لأغراض سياسية- على الأقل في بعض الحالات له ما يبرره- يبدو أن الأحزاب السياسية مثل حزب العمل في مصر أو الجبهة الإسلامية للإنقاذ (FIS) في الجزائر التي تستند في جاذبيتها على مؤهلاتها الإسلامية تمثل هذه العلاقة المؤثرة بالدين؛ ومع ذلك لا تزال هناك معضلة- ضمن هذه الأمثلة التي تبدو واضحة- تكمن في التساؤل عن الطريقة التي يتم التمييز فيها بين المجالات السياسية وغير السياسية للحياة الاجتماعية اليوم؟ جادل العديد من العلماء بأن "الإسلام السياسي" ينطوي على امتداد غير شرعي للتقاليد الإسلامية خارج النطاق الديني المناسب الذي احتله تاريخياً، ومع ذلك، فإن قلة هم الذين اكتشفوا هذا الاتجاه فيما يتعلق بالتوسع المعاصر لسلطة الدولة والاهتمام بها في مجالات واسعة من الحياة الاجتماعية خارج نطاق اختصاصها - بما في ذلك الدين (Hirschkind, 1997).

الإشكالية

في ظل الحرب الإعلامية التي تشنها وسائل الإعلام العالمية على الإسلام والتركيز على الشق السياسي منه، فما هي حدود الهوية الدينية كأهم محاور سياق المجتمع الإسلامي؟

الفرضية

كلما كان هناك توافق واستجابة لدى أعضاء المجتمع الإسلامي لتجاوز الخلافات وخلق منظومة إعلامية بأسس عالمية، كلما ساهم ذلك في الحفاظ على الهوية الدينية الترويج للقيم الإسلامية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة ل:

- ❖ التركيز على إبراز العلاقة بين الدين والإعلام.
- ❖ التعرض للفكر الإسلامي في شقه السياسي ورصد المسار الكرونولوجي لتطور الإسلام السياسي وأهم العوامل المساعدة على بروزه.
- ❖ رصد أهم المحاور التي تستهدفها المنظومة الإعلامية الغربية لضرب الهوية الدينية للمسلمين.

تم معالجة كموضوع الدراسة بناء على البناء الهيكلي التالي:

أولاً: الدين والإعلام: تقارب أم تداخل

لم يعد من الممكن التفكير في الدين والإعلام كمجالين منفصلين، إذ أن هناك مؤشرات على التقارب بين الإعلام والدين، وهذا التقارب ناتج عن تغييرات مهمة في "الدين" و "الإعلام"، فالأمر أكثر تعقيداً من مجرد كيفية تأطير وسائل الإعلام للدين أو كيفية استخدام الديانات والمتدينين للإعلام، فبالنسبة للدين فمنذ منتصف القرن العشرين شهدنا تغييراً في قوة وسلطة المؤسسات الدينية، أين تستمر ثقة الجمهور في الدين والسلطة الدينية في التدهور، كما تراجع المشاركة الدينية - على الأقل في المؤسسات الدينية الكبيرة الراسخة - في جميع أنحاء الغرب؛ في مقابل ذلك شهد علماء الاجتماع الديني اتجاهًا ملحوظاً نحو الممارسة الدينية والروحية الفردية والشخصية، هذا النهج الجديد في الإيمان والذي يطلق عليه بشكل مختلف "البحث" أو "السعي" هو نهج فردي للغاية.

من جهة أخرى فقد شهدت وسائل الإعلام كذلك موجه من التغيرات والتحولات، وأبرز التغييرات التي حدثت كانت متعلقة بالجانب التكنولوجي، فأدت التطورات الجديدة في إنتاج ونقل واستقبال وسائل الإعلام إلى انفجار في القنوات ومصادر الإعلام من "الإعلام القديم" للتلفزيون والنشر والسينما" إلى الإعلام المعاصر " الإنترنت، شبكة الإنترنت العالمية، الوسائط الرقمية و الاجتماعية"، وأدت هذه التغييرات أيضًا إلى زيادة عولمة الإعلام لينتج ثلاث آثار مهمة تمثلت في (Hoover, 2012, pp. 31, 32):

✓ أدى انتشار القنوات إلى تحطيم السلطة التقليدية لعدد صغير نسبيًا من الناشرين والمذيعين، حتى الستينيات لم يكن هناك سوى عدد قليل من الانفتاحات التي يمكن للأديان من خلالها أن تجد طريقها إلى تداول وسائل الإعلام، فمع انتشار القنوات التي تغيرت تم تخفيض الحواجز وتخفيف شروط الوصول وانخفضت التكاليف.

✓ فيما يتمثل التضمين الرئيسي الثاني في تغيير الوسائط بمعنى أن المزيد والمزيد من محتوى الوسائط المتخصصة يمكن أن يجد طريقه الآن إلى التداول كالحقائق العامة، والمفاهيم والقيم الدينية المشتركة، والتي يمكن أن تجد طريقها للبحث. الآن، حيث يمكن لمجموعة مذهلة من الدعايات الدينية والروحية وشبه الدينية الضمنية والقريبة من الدعايات والمنتجات والرموز والشبكات والحركات الدينية أن تجد مكانا لها في سوق وسائل الإعلام، كما برز ما يسمى بـ "الملاحم التوراتية" مثل الوصايا العشر والرداء من الأفلام البارزة، إضافة إلى مجموعة من البرامج والمسلسلات الجديدة التي ظهرت خلال التسعينات، والتي تضمنت موضوعات دينية صريحة وضمنية كالبرامج الأمريكية المنتشرة عالميًا مثل Touched by an Angel و The X-Files و Buffy: Vampire Slayer و The Simpsons و Northern Exposure، كما انتشرت الكتب والمجلات المخصصة للروحانية والعلاج والمساعدة الذاتية والتي شكلت أحد الاتجاهات الرئيسية في تلك الصناعة، وأصبح الوضع أكثر تنوعًا في ظل الوسائط الرقمية للإنترنت.

✓ أما عن الأثر الرئيسي الثالث للتغييرات في الإعلام فتجسد في الانفتاح المتزايد من جانب وسائل الإعلام "العلمانية" لاستيعاب المحتوى الطائفي والديني والروحي.

1. الدعاية الإعلامية لتحقيق أهداف دينية

هناك تاريخ طويل وعميق للوساطة الدينية، أين تم تصنيف الأديان المختلفة من خلال علاقتها بوسائل الإعلام المتباينة، وكان من الشائع التفكير في تطور أديان الغرب الحديث على أنها تأثرت بطرق رئيسية بالطباعة المنقولة، ففي القرن العشرين طور عدد من الأديان علاقات خاصة ومحددة مع وسائل الإعلام، وفي معظم الحالات تم تعريف هذه العلاقات بافتراض نوع من الازدواجية، وفصل المجال "المقدس" للتاريخ الديني الأصيل، المزمع، الإيمان، والممارسة عن المجال "الدنيوي" الذي تمثله وسائل الإعلام، الإسلام على سبيل المثال يُعتقد على نطاق واسع أنه يتجنب الوساطة الجماعية ولاسيما التصوير المرئي الوسيط، كذلك فإن زهد البوذية يفصلها عن مجال إعلامي الذي تهيمن عليه الاهتمامات المادية، بينما أكدت الدراسات اليهودية على أهمية "الكتاب"، لكنها مالت إلى الاعتقاد بأن طرق الاتصال والتمثيل الأخرى كانت أقل أهمية، في حين برز توجه الفكر المسيحي إلى الثنائية أو الازدواجية، فأصبحت المسيحية في الغرب الحديث تعرض مجموعة من العلاقات والاستجابات لوسائل الإعلام.

لقد حظيت الطبيعة المتغيرة للدين في الحياة المعاصرة باهتمام متزايد في السنوات التي تلت هجمات 11 سبتمبر، لكن في كل هذا الحديث تم التغاضي عن الدور الحاسم لوسائل الإعلام، ففي حين أن وسائل الإعلام تشهد انتشارًا عالميًا؛ إلا أنها تعرف في الغالب ميلا إلى اعتبارها أمرا مفروغا منه بدلاً من ملاحظتها، على الرغم من أن القضايا والاتجاهات الدينية الرئيسية التي تعتبر مهمة للغاية اليوم لا يمكن معالجتها أو

فهمها بشكل كامل دون الاعتماد على توظيف الجانب الإعلامي، حيث تشكل وسائل الإعلام مصدراً للمعلومات حول الأديان والاتجاهات والأفكار الدينية، ففي أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001 وهجمات لندن وبالي في يوليو 2005 أولت الصحافة اهتماماً متزايداً بالدين على جميع المستويات (Hoover M. S., 2008, p. 03).

أصبحت المصالح الطائفية بشكل متزايد في بؤرة حالات التوتر السياسي والصراع الاجتماعي وحتى إراقة دماء، وهكذا أصبح العامل الديني أكثر فاكتر بروزاً في الأخبار، فمثلاً دفع ظهور السياسة الدينية في الولايات المتحدة إلى ظهورها في صفحات الأخبار، كما ظهر الدين أكثر فاكتر في الترفيه والثقافة الشعبية، فبينما كان التلفزيون في أوقات الذروة يحمل في السابق عددًا قليلاً من البرامج ذات الموضوعات الدينية أو الروحية، حالياً أصبح يشكل عنصرًا أساسيًا في التلفزيون التجاري في الولايات المتحدة منذ التسعينيات، كما تشمل الأنظمة الغذائية الإعلامية في الولايات المتحدة والغرب بشكل عام العامل الدين والروحاني بدرجة أكبر مما كانت عليه في الماضي؛

لكن وسائل الإعلام لا تغطي وتمثل مختلف الجوانب العقائدية فقط؛ إنما في الواقع هناك تفاعل مع الدين بطرق تغير الإعلام والدين معاً، و تقدم الأحداث التي أحاطت بـ 11 سبتمبر بعض الأمثلة عن هذه التفاعلات، فمن المهم أن نتذكر أن هجمات 11 سبتمبر كانت ولا تزال تُعرض وتُفهم على أنها متجذرة جزئياً على الأقل في الدين وفي مزاعم الحقيقة الدينية وفي "صراع الحضارات" المزعوم، فكانت وسائل الإعلام هي المصدر الرئيسي لهذه الأحداث التي تعلق في حقيقة الأمر بالسياسة والدين فكان هناك الكثير من التغطية والتعليقات على الأسس الدينية للهجمات والآثار المترتبة عليها.

وعليه فقد أصبح واضحاً أن الكثير مما يعرفه معظم الناس في الغرب عن باقي أقاليم العالم - بمختلف طوائفها وعرقياتها- هو نتاج للطريقة التي صورت بها وسائل الإعلام الغربية تلك المناطق وأديانها، فلا يمكن الرد على الأسئلة المتعلقة بأسباب الهجمات إلا بافتراضات معروفة جيداً حول الوضع العالمي مستمدة من وسائل الإعلام، فكان المعنى الأبرز هنا هو أن دور الدين في مثل هذه المعرفة والخطاب هو بالضرورة أيضاً وظيفة لوسائل الإعلام وتمثيلاتها.

2. دور الإعلام الاجتماعي في الدين: ميكانيزمات الاستمرار أم بدائل؟

يعتقد الكثير من العلماء أن هناك علاقة ذات مغزى بين الدين والثقافة والإعلام، فوفقاً لـ "Bourdieu" الثقافة هي شكل متميز من أشكال القوة التي تشبه الاستثمار في الاقتصاد، فهي تنتج عادات بلوائح خاصة تكون نتاج لمجموعة من الظروف للتصرف بطرق معينة تخلق اعترافاً أو سلوكيات جسدية للفرد وتعتبر دليلاً للعقل والقرار والعمل، وذلك ينتج عنه:

✓ تشكل العادة أنماطاً يستوعب الفرد الهياكل الاجتماعية من خلالها من أجل استخدامها للتفاعل المستمر؛

✓ تشكل العادة في عملية التفاعل سلوكيات وأفعالاً تكون عبارة عن عادات حياة جماعية، ومن ثم فإن العادة مسؤولة عن إعادة إنتاج وتغيير الهيكل الاجتماعي أيضاً.

ومع ذلك فإن الإنسان مخلوق مدني، والثقافة تبني أخلاق الإنسان عبر متطلبات آلياتها الخاصة، مخترقة الأنظمة الاجتماعية في العقل البشري، وحتى في بعض الحالات تحولها إلى اللاوعي البشري، وهذه الطريقة يتم إنتاج معيار الإنسان لكل مجتمع وحضارة، ويتم تحديد المعايير الأخلاقية وقيمة الحكم للخير والشر للإنسان، ويتم تحقيقها أخيراً بقوة في عقلية المجتمع والناس.

من ناحية أخرى فإن الثقافة نفسها تدار من قبل بعض الموارد التي تنتج وتعيد إنتاجها من خلال الموارد والقيم الثقافية وخاصة الدين؛ لكن الدين وتغيير الحقوق كلياً لثقافة المجتمعات ليس ممكناً إلا من

خلال الدعاية ووسائل الإعلام، وبالتالي فقد لوحظ نوع من القياس المنطقي لأرسطو للعلاقة بين الثقافة ووسائل الإعلام الجديدة والدين (Hosseinzadeh, October 2011):

- ✓ ينتشر الدين من خلال الدعاية والإعلام لثقافة المجتمعات؛
- ✓ وسائل الإعلام ليست محايدة لها طابعها الخاص ومطالبها، لذلك فهم يديرون عملية نقل الدين إلى المجتمع بناءً على متطلبات الطبيعة لوسائل الإعلام وتأثيرها؛
- ✓ لذلك فإن الوعي أو الجهل بوسائل الإعلام والدين يجعل الإعلام على الأرجح وسائل إعلام دينية.

وعليه تعتبر النتيجة أعلاه مهمة جدًا خاصة للإعلان عن أديان مثل الإسلام والمسيحية، والتي تشترك في الدعوة بسبب طبيعتها الإعلانية، وتشارك حتمًا في كل نوع من وسائل الإعلام التقليدية والحديثة وإن كانت بدرجات متفاوتة، علاوة على ذلك تؤثر طبيعة الإعلام على مسار ونوعية الدين في الثقافة، وتتمثل فرضية الإعلان الديني في أن السلع الثقافية يتم تمثيلها للمستهلك في سوق الثقافة، ويقوم منطلق السوق على حرية السلع الثقافية، وتكرار السلع من ناحية، والقدرة على الاختيار الحر للفرد من ناحية أخرى.

وبناء على ذلك هناك علاقة ذات مغزى بين الإعلان الديني ووسائل الإعلام، حيث يتم إنتاج الفعل الاجتماعي في المجال الثقافي، كما يصل الأفراد والجماعات والأديان إلى موقعهم النسبي في المجال الثقافي، ويعزونه أو يفقدونه بمهارة استخدام وسائل الإعلام وإنتاج الرسالة، هذا هو العامل الرئيسي في أن الاهتمام بطبيعة وسائل الإعلام الجديدة للإعلانات الدينية قيد التحليل، سواء مع الأفكار أو ضدها، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه يمكننا تطوير نهجين رئيسيين من خلال النظر في تاريخ ظهور وسائل الإعلام (Hosseinzadeh, October 2011):

- ✓ وجهة النظر الأولى معنية بالتغلب على متطلبات الإعلام الحديث ما يسمى بظهور "دين الإعلام"، وفي واقع الأمر له نظرة سلبية على القضية، حيث يعتقد هذا النهج أن هناك صراعًا بين الدين والإعلام، فالدين موضوع تقليدي ينشر المعرفة التي يجب اعتبارها ضمن الموضوعات التقليدية الأخرى؛ لكن وسائل الإعلام المفاهيمية الحديثة لها وظائف جديدة للغاية تكمن في عدم الاتساق مع الدين، ومن وجهة النظر هذه فإن وسائل الإعلام مثل الدين آلية لتوزيع المعرفة أيضًا وتشكيل العلاقة الإنسانية مع البيئة، لذلك حسب أنصار هذا النهج فالإعلام هو بديل عن الدين في العصر الحديث، ويعتقدون أن هناك فرقا جوهريا بين الإعلام والدين في صراع الحقائق والمعتقدات.

- ✓ وعلى النقيض من ذلك وجهة النظر الثانية تطرح ضرورة وجود الإعلام الديني وإمكانية التدين من خلال وسائل الإعلام، وترى أنه ليس هناك علاقة تداخل بين الإعلام والدين فحسب، بل أن وسائل الإعلام طالما كانت آلية ذات فعالية عالية في تثبيت التقوى في فترات مختلفة، وذلك بناءً على دراسات عديدة، لذلك فإن الارتباط بينهما يكمن في وجود الدين والتأثيرات الدينية في الفن والموسيقى والمخطوطات والرسم على مسار سنوات طويلة من الحضارات الدينية، وبناءً على هذا النهج يتبع الدين طريقه إلى وسائل الإعلام الجديدة، معتقدًا أن تطوير تقنيات جديدة لا يقتصر على إضعافها وتهديدها فحسب، بل يجب أيضا النظر إليها كفرصة، حيث توجد الآن العديد من مجموعات الشبكات الاجتماعية ذات الطابع الديني على الإنترنت، مما يسمح للمستخدمين بإنشاء مجموعات صلاة ومناقشة الأفلام والعمارة على أشخاص آخرين مهمين محتملين مثل MySpace التي تضم أكثر من 100000 مجموعة دينية، علاوة على ذلك فإن تطوير المواقع قد أوجد نوعًا من المنبر الرقمي وأتاح إمكانية إجراء محادثة على نطاق واسع وطرح أسئلة على علماء الدين.

ثانياً: الإسلام السياسي: التطور، العوامل والنطاق

1. تطور الفكر السياسي الإسلامي

يتتبع تطور الفكر السياسي الإسلامي المواقف المختلفة التي احتلها الإسلام خلال توسعه السياسي على مدار 14 قرناً، مثلما حافظ التاريخ الإسلامي على تقاليده وأعاد تشكيل ثقافته الداخلية بشكل ثابت خلال فترة التوسع هذه، كذلك حافظ الفكر السياسي الإسلامي على بعض الأسس الرئيسية أثناء مروره بمراحل متتالية من التطور، فعلى عكس الغرب تتشابه مجالات الدين والدولة بشكل وثيق في الإسلام وتخضع لعملية تفاوض سلسلة، فالمفاهيم السلطة والواجب تلقي بظلالها على مفاهيم الحرية وحقوق الفرد، فلا يتعامل الفكر السياسي الإسلامي مع مسائل الحكومة والسياسة والدولة فحسب، بل يعالج أيضاً مسائل السلوك والأخلاق المقبولة للحاكم والمحكوم، ولا يمكن قياس الفكر السياسي الإسلامي بالمعايير الغربية ومعايير النظرية السياسية، فالإسلام بطبيعته ديناميكي سواء كأسلوب حياة أو طريقة للعبادة التوحيدية.

تم وضع أسس بدائية ولكن ثابتة للفكر السياسي الإسلامي بداية من حياة الرسول في المدينة المنورة، ومع ذلك ظهرت العديد من الانقسامات خلال حكم الخلفاء الأمويين (658-750)، وعموماً يمكن تلخيص مسار تطور الفكر السياسي الإسلامي على النحو التالي (Bowering, 2015, pp. 4-6):

المرحلة الأولى: الصيغ المبكرة للفكر السياسي الإسلامي في العصور الوسطى (750-1055): تطورت هيمنة الخلافة العباسية في بغداد حيث دمج المفكرون الإسلاميون أنماط التفكير لمجموعة كبيرة ومتنوعة من الشعوب، واستوعبوا الأنظمة الفكرية التي أتت إلى حظيرتها من قبل السكان المتحولين للإمبراطورية الإيرانية والمحافظات البيزنطية، لقد استحوذت على إرث تعلمهم وفطنة تجربتهم السياسية بمساعدة حركات الترجمة الشاملة من اليونانية واليهودية إلى العربية.

المرحلة الثانية (1055-1258): خلال هذه المرحلة كان على الفكر السياسي الإسلامي أن يتعامل مع الاضطرابات التي سببها البدو الرحل الأتراك السنة من آسيا الوسطى، حيث اكتسب السلاطين الأتراك سيطرة عسكرية فعالة وقاموا بتقسيم الطبقات الاقتصادية والإدارية لمجتمع إيراني يحكمه الخلفاء العباسيون اسمياً، فلم يحاولوا فرض لغتهم وثقافتهم ونظامهم الاجتماعي شبه البدوي على نسيج الدولة الإسلامية، وبدلاً من ذلك فقد تبناوا الإسلام وروجوا للفارسية بجانب العربية كلغة للتعليم العالي.

المرحلة الثالثة (1258-1500): بعد زوال الخلافة العباسية عام 1258 تم السيطرة على النظام السياسي من قبل مجموعة متنوعة من الخانات الأجنبية وسلطنات العبيد، حيث حاول كل منهم المطالبة بالشرعية من خلال التلاعب بالرموز الإسلامية للحكم العادل والانتماء المؤسسي لمشايخ الصوفية، و في مواجهة هذا التشرذم سعى المفكرون السياسيون الإسلاميون إلى إيجاد نماذج جديدة تعكس الجهود المبذولة للتغلب على الانهيار للنظام وتمكنوا من دمج الغزاة الأجانب في دين مجتمعهم ونظامه السياسي.

المرحلة الرابعة (1500-1800): تلا تقسيم العالم الإسلامي إلى سلطنات ظهور ثلاث إمبراطوريات ملكية منفصلة ومزدهرة -ممتلئة ب: العثمانيون الذين احتلوا القسطنطينية عام 1453 اعتمدوا على لقب وارث الخلفاء السُّنة، بينما نصب الصفويون أنفسهم في إيران عام 1501 وحولوها إلى نظام ملكي شيعي إمامي ثيوقراطي، أما المغول فقد أسسوا حكمهم الذي يغلب عليه السنة في الهند بانتصارهم في بانيبات في عام 1526- وفي هذه المجموعة الثلاثية الجديدة تم وضع النظرية السياسية لخدمة الرؤية الخاصة لحكم

كل إمبراطورية بدلاً من ثقافة الخلافة العالمية، وبالتالي تم تشكيل الفكر السياسي الإسلامي وفقاً لثلاثة أنماط مختلفة.

المرحلة الأخيرة (1800-...): لأول مرة لم يكن للدولة الإسلامية القدرة على الانتصار ولا القدرة على استيعاب الثقافة المعارضة، فظهرت تدريجياً حركات وقوميات إحياء في العالم الإسلامي، غطت أيديولوجياتها الطيف من التزم، والإصلاحية، والحداثة، والعلمانية، والقومية، والاشتراكية إلى التطرف الأصولية التي غالباً ما تسمى الإسلامية ممثلة في بداية الأمر بالثورة الإيرانية عام 1979...

2. الإسلام السياسي والجيوبولتيك العالمي

لقد استحوذ الظهور الدراماتيكي للإسلام السياسي -على مشهد الشرق الأوسط وعلى مدى العقود العديدة الماضية- على اهتمام عالمي أكبر من أنشطة أي حركة دينية أو قومية أو أيديولوجية أخرى منذ الشيوعية، فلقد جذبت الجوانب التجارية انتباه وسائل الإعلام العالمية إلى المستويات التي لم تكن موجودة في تغطية الإجراءات الرهيبة للمكاتب السياسية الشيوعية العالمية، فتم التركيز على الجمع بين العديد من الأحداث الدراماتيكية للثورة والحروب والانقلابات والإرهاب والمناهضين للغرب والبعثات الانتحارية... لإنتاج صورة من التعصب الغريب وغير المفهوم والذي يشير إلى مجموعة من الشعوب المصممة للعودة عمداً إلى التاريخ بدلاً من العمل على مواكبة الحضارة، ومع ذلك فإننا لن نفهم أبداً جوهر هذه الظاهرة حتى ندرك أن الإسلام السياسي لا يعتمد كثيراً على الحفاظ على الحاضر أو الماضي، على قدر ما تم تصويره على أنه حركات تحديث تبحث عن التغيير (FULLER, 2004, pp. 67,68).

تشارك الأشكال المختلفة للإسلام السياسي المعاصر في الكثير من الاهتمامات المشابهة لتلك الخاصة بالدول النامية الأخرى فيما يتعلق بالسلطة، الثقافة، الأصالة، القيم، الدين، الإصلاح، الضعف السياسي، والديمقراطية، معضلات التحديث، والعولمة، وهذا ليس مفاجئاً لأن المشكلات المشتركة وردودها الأيديولوجية تمثل جميعها جهوداً لمواجهة التحديات الحديثة عبر الأديان، الثقافات والقارات، ومن هذا المنظور فإن الإسلام السياسي هو جزء لا يتجزأ من عالم نامي أوسع.

في القرون الأخيرة انتشرت قوى التحديث التي أطلقتها أوروبا أولاً ثم الولايات المتحدة في معظم أنحاء العالم، مما حفز التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتكنولوجي والمؤسسي الدرامي، فساعدت الإمبريالية الأوروبية على جلبت العديد من هذه التغييرات إلى العالم النامي، وبالتالي خلقت ازدواجية محلية مبكرة تجاه التغييرات نفسها، فاليوم وتزداد سرعة التغيير في ظل تحفيز الاختراقات الدراماتيكية الحديثة في تكنولوجيا المعلومات.

3. عوامل صعود وانتشار الإسلام السياسي

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر احتلت مسألة الإسلام السياسي مركز الصدارة في السياسة العالمية، فقد غيرت "الحرب على الإرهاب" مجمل النقاش حول العلاقة بين الإسلام والغرب، فقد ظهر عدد كبير من الكتب والمقالات حول هذا الموضوع منذ ذلك الحين ومن المتوقع أن المحللين المحافظين، قد قدموا فكرة أن الغرب في حالة حرب مرة أخرى مع "الإسلام"، المنطق الكامن وراء هذه الحجّة هو "نحن" علمانيون وديمقراطيون، بينما هم غارقون في التخلف الناشئ عن التمسك بالإسلام، وأصبحت هذه الحجج جزءاً من أيديولوجية الفطرة السليمة في الولايات المتحدة وأماكن أخرى.

وعليه كان الإسلام السياسي نتاج تقارب التطورات السياسية والاقتصادية التالية (Kumar, 2011):
✓ التدخل الإمبراطوري والسيطرة المستمرة، حيث لعبت القوى الإمبريالية (خاصة الولايات المتحدة) دورًا نشطًا في رعاية وتشجيع الجماعات الإسلامية كحصن ضد القومية العلمانية واليسار، واستمرت الهيمنة الإمبراطورية حتى بعد إنهاء الاستعمار من خلال حكام مطيعين، إسرائيل، والمواجهات العسكرية المباشرة.
✓ التناقضات الداخلية وفشل القومية العلمانية واليسار الستاليني التي خلقت فراغًا سياسيًا.

✓ تطور الأزمات الاقتصادية في مختلف البلدان التي تنص على الأساليب الرأسمالية للتنمية القومية التي لم يتمكن من حلها، وهو ما منح الإسلاميون مجالًا للتوسع من خلال شبكتهم الواسعة من المنافذ الخيرية والنمو من خلال التجنيد من الطبقات الوسطى والأقسام الأخرى المنبوذة.
كل هذه العوامل شكلت أساسًا ساعد على دفع الإسلام السياسي إلى المسرح العالمي؛ على الرغم من أن هذا لم يحدث دفعة واحدة.

1.3. الإمبريالية الأمريكية والإسلام السياسي

خلال حقبة الحرب الباردة نظرت الولايات المتحدة إلى القومية المتطرفة والشيوعية على أنها تهديدات خطيرة لنفوذها، وبعد فشل واشنطن في كسب جمال عبد ناصر ومحمد مصدق (إيران) إلى صفها خلال خمسينيات القرن الماضي، سعت إلى تطوير "استراتيجية إسلامية" يتم بموجبها ترسيخ الجماعات الإسلامية - بمساعدة المملكة العربية السعودية - كحصن ضد القومية المتطرفة و شيوعية، واستخدمت جماعة الإخوان المسلمين في مصر ضد عبد الناصر، ومجموعة من رجال الدين في إيران ضد مصدق (Dreyfuss, 2005).
فإذا كان مصدق يمثل الإمكانية لما قد يفعله القوميون العلمانيون في السلطة لمصالح النفط الغربية (قام بتأميم صناعة النفط)، فإن عبد ناصر يمثل السيناريو الكابوس لواشنطن في المنطقة، فعلى الرغم من أن مصر لا تمتلك النفط؛ فقد سعت الناصرية - بتركيزها على الوحدة العربية - إلى توحيد الدول الحضرية المتقدمة تقنيًا وطبقاتها العاملة الكبيرة المدربة جيدًا مع الثروة الهائلة للدول المنتجة للنفط، فكان الجمع بين القاهرة والرياض من شأنه أن يعيق بشدة الهيمنة الغربية على موارد النفط في المنطقة، وعليه فبالإضافة إلى دعم مؤامرات انقلابية ضد عبد الناصر وتنفيذ محاولات اغتيال مختلفة ضده مثل حادثة تسميم الشوكولاتة، بدأت الولايات المتحدة في تنمية جماعة الإخوان المسلمين والاعتماد بشكل متزايد على المملكة العربية السعودية لتكون بمثابة قوة موازنة، كما نجحت وكالة المخابرات المركزية في انقلابها في إيران ونصبت سلطة موالية للولايات المتحدة.

وهكذا تم تأسيس جماعة الإخوان المسلمين المصرية لأول مرة بمنحة من شركة قناة السويس البريطانية، كما تمكنت الجماعة بدعم أمريكي وتمويل سعودي من النمو والتوسع، فقد استخدمتها السعودية ضد الأنظمة العلمانية في مصر وسوريا والعراق، وساعدت في بناء قواعدها في السودان. كما شجعتها في أفغانستان وباكستان أين حيث تحالف الإخوان المسلمون مع جماعة المودودي الإسلامية، وهو ما أكده تصريح أحد كبار مسؤولي وكالة المخابرات المركزية:

" كانت الحرب الباردة هي الوضع الفاصل في ذلك الوقت، لقد رأينا عبد الناصر على أنه حليف اشتراكي ومعاد للغرب ومعاد لبغداد، وكنا نبحث عن نوع من الغلبة، كان يُنظر إلى الجهود السعودية لأسلمة المنطقة على أنها قوية وفعالة ومن المرجح أن تكون ناجحة، لقد أحببنا ذلك، كان لدينا حليف ضد الشيوعية" (Dreyfuss, 2005, p. 125).

بالإضافة إلى القوميين العلمانيين، اعتبرت واشنطن مختلف الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في المنطقة بمثابة تهديدات، فعملت على توظيف كل الوسائل الممكنة للحد من نفوذهم من الدعاية إلى الاغتيالات وهو ما كشفت عنه لاحقاً وثائق الأمن القومي التي رفعت عنها السرية، كما استخدمت الولايات المتحدة دعاية مكثفة في شكل أفلام، كتيبات، ملصقات، مجلات، وكتب، إضافة إلى التلاعب بالأخبار وبث رسوم كاريكاتورية وما إلى ذلك لمواجهة الأيديولوجية الشيوعية، مثل ملصقات "Greedy Red Pig" والتي كان الهدف منها هو تشويه صورة السوفييات لدى العرب، بينما كان الوجه الآخر لمثل هذه الجهود الكوميديا (التي كان لها تأثير ضئيل) هو الاغتيالات المستهدفة، كما ساعدت الولايات المتحدة الحكومات والقوات شبه العسكرية اليمينية في قتل اليساريين، فعلى سبيل المثال في عام 1963 زودت وكالة المخابرات المركزية حزب البعث بأسماء أعضاء الحزب الشيوعي العراقي حتى يتمكنوا من اغتيالهم (Kumar, 2011).

2.3. دور المملكة العربية السعودية

بدأ تحول الولايات المتحدة نحو الترويج للإسلام على المسرح السياسي في الخمسينيات من القرن الماضي، كتب إيزنهاور إلى أحد المقربين منه: "أردنا استكشاف إمكانيات بناء الملك سعود كثقل موازن لناصر، كان الملك اختياراً منطقياً في هذا الصدد، لقد أعلن على الأقل معاداة الشيوعية، وكان يتمتع على أسس دينية بمكانة عالية بين جميع الدول العربية" حيث سعت الولايات المتحدة لعزل ناصر وإنشاء قطب بديل للجذب في الملك سعود، حتى أن بعض الإداريين بدأوا في تطوير مفهوم سعود باعتباره نوع من "البابا الإسلامي"، ومع ذلك فشل الملك سعود في أن يكون مثل هذا القطب الجذاب لأسباب عديدة وتولى خليفته الملك فيصل هذا الدور وخطى خطوات كبيرة نحو أسلمة المنطقة (Abukhalil, 2003) ومنذ ذلك الحين كانت المملكة العربية السعودية واحدة من أقوى المروجين للإسلاموية.

وعلى الرغم من أن السعودية هي موطن لأكبر مخزون من احتياطي النفط في العالم، إلا أنها لم يكن لديها سوى القليل من الشرعية السياسية في الشرق الأوسط خلال عصر القومية العلمانية التقدمية، فإقليمياً تم قبول الناصرية على نطاق واسع كنموذج حيث عملت مصر كقوة سياسية مهيمنة حتى نهاية الستينيات، أين تغيرت هذه الديناميكية فرفع الحظر النفطي من هيبة السعودية لدرجة أنها استطاعت أن تأخذ زمام المبادرة ووضع الوهابية على الخريطة، ثم استخدمت النخبة الحاكمة السعودية مواردها النفطية الهائلة للترويج للإسلاميين بالطرق التالية:

- ✓ إنشاء شبكة ضخمة من الأعمال الخيرية مما سمح للجماعات الإسلامية بتقديم حلول للأزمات الاقتصادية التي تعصف بمختلف البلدان.
- ✓ استخدام رابطة العالم الإسلامي التي تأسست عام 1962 لمواجهة العلمانية وذلك من خلال جمع عدداً من دول المنطقة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي عام 1969 لوضع أجندة تتماشى مع الرؤية السعودية.
- ✓ إنشاء نظام مالي إسلامي يربط مختلف البلدان الأفريقية والآسيوية والشرق أوسطية بالدول الغنية بالنفط.

وعليه فإذا كانت رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي هما الوسيلتين السياسيتين لتأسيس الهيمنة السعودية، فإن النظام المالي الإسلامي هو الذي أرسى الأساس الاقتصادي لنموها، وبتوجهات سعودية تم توجيه المبالغ الهائلة التي تدفقت على الدول العربية المصدرة للنفط في أوائل السبعينيات إلى شبكة من البنوك التي كانت تحت سيطرة اليمين الإسلامي وجماعة الإخوان المسلمين.

قامت البنوك الغربية بتقديم الخبرة والتدريب والمعرفة التكنولوجية مثل Citibank, Chase الإسلامي مع تطور النموذج النيوليبرالي في الغرب. أقيمت علاقات وثيقة بين المعلم النيوليبرالي Milton Friedman وتلاميذه في جامعة شيكاغو والإسلاميين، كما صرح Robert Dreyfuss "اعتمد التمويل الإسلامي مرارًا وتكرارًا على الاقتصاديين اليمينيين والسياسيين الإسلاميين الذين دافعوا عن آراء الخصخصة والسوق الحرة لمدرسة شيكاغو"، وبمجرد وصولهم إلى السلطة ليس من المستغرب أن يتبنى الإسلاميون تدابير ليبرالية جديدة (Dreyfuss, 2005, p. 173)، وعليه لعبت المملكة العربية السعودية من خلال مؤسساتها السياسية والدينية والاقتصادية المختلفة دورًا رئيسيًا وراء الكواليس في تعزيز قضية الإسلاموية.

ثالثًا: حدود الهوية الدينية في ظل الحرب الإعلامية العالمية على الإسلام السياسي

أدت التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية والإقليمية في السنوات الأخيرة إلى اضطراب قوي ومتعدد الأبعاد للعلاقة بين المجتمعات الغربية والأوروبية والإسلامية في جميع أنحاء العالم، ويبدو أن أنظمة المعلومات ووسائل الاتصال المتطورة قد ساهمت في نمو سوء الفهم والتحيز، ففي عصر الاتصالات تبدأ الحروب وتستمر وتنتهي بالحرب الإعلامية، حيث تشكل وسائل الإعلام الرأي العام وتغطي الحقائق من خلال رقابتها، وتستخدم وسائل الإعلام كأهم سلاح، إذ تبرز العلاقة بين دور الإعلام وما بعد الحداثة.

ذهبت Judith Lazar إلى أن: "تلعب وسائل الإعلام الدور المهيمن في ثقافة المجتمع وتظهر هذه اللعبة على أنها انعكاس للثقافة وفي نفس الوقت تشارك في صناعة الثقافة"، وفي نفس السياق اعتبر Jean Budiar (الباحث الفرنسي وأهم منظري ثقافة ما بعد الحداثة) العالم كعالم محاكاة، ويعد التلفزيون الآن أحد أكثر وسائل الترفيه والمعلومات انتشارًا التي يحصل عليها ملايين الأشخاص في جميع أنحاء العالم، إنه يعتقد أنه في عالم ما بعد الحداثة يتعامل الناس مع تغيرات الصورة والتفسير وأن دور الإعلام هنا محوري، فيرى أن الصورة في هذه الحالة أكثر واقعية من الواقع، وهنا اقترنت كلمة الإسلام في وسائل الإعلام العالمية في الغالب بصفات مثل الراديكالية والمتطرفة والأساسية التي تعطي صورة سيئة عن الإسلام (Yeganeh, 2014, p. 213). في الوقت الحاضر هناك حملات إعلامية عديدة ضد الإسلام والمسلمين، إذ تحاول معظم وسائل الإعلام الغربية التي تتمتع بموارد مالية كبيرة وقنوات متعددة عرض صورة تقريبية للإسلام على جمهورها، في الوقت نفسه تحاول الجماعات الإسلامية من خلال وسائل الإعلام المختلفة نقل رسائلها، ولكن بالمقارنة مع الهيمنة العالمية لوسائل الإعلام الغربية يكون تأثيرها محدود.

ترتكز معظم وسائل الإعلام الغربية على أحدث 11 سبتمبر لاستغلال مكاسبها السياسية، حيث تصور هذه الوسائط الإسلام على أنه "أصولية" و "تطرف" و "راديكالية"، وبالطبع في العالم الحديث حيث يكون دور الإعلام مركزيًا يمكن التلاعب بصورة الواقع لتشويه الحقائق الفعلية، وهو ما برز من خلال سعي وسائل الإعلام الغربية لتصوير المسلمين على أنهم "إرهابيون" يشكلون خطراً على الأمن العالمي وهو ما تجسد من خلال ظهور "الإسلاموفوبيا"، وذلك محاولة منهم لتبرير الحروب في أفغانستان والعراق، وقد ساعدهم على ذلك أعمال الجماعات الإرهابية المرتكزة على قتل الناس باسم الإسلام وخاصة الرهائن الغربيين بما يساعد وسائل الإعلام على إظهار أنهم ضحايا للإرهاب بشكل جماعي (MESIĆ).

على الرغم من انتشار التغطية الإعلامية والمنشورات حول الإسلام والمسلمين، فإن التحدي الرئيسي اليوم ينطوي على الحصول على معلومات دقيقة وموثوقة، فقد أدى تسييس العلماء والخبراء والمعلقين الإعلاميين في فترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر إلى خلق حقل ألغام لصانعي السياسات وعامة الناس أثناء بحثهم عن إجابات لأسئلة مثل: "ما هي أسباب التطرف ومعاداة أمريكا؟"، "ما رأي المسلمات في مكانتهن في الإسلام؟" "هل الإسلام متوافق مع الديمقراطية؟"، "ما هي أسباب الإرهاب العالمي؟"..... في كثير من

الأحيان يقع القارئ بين المواقف المتنافسة لخبراء مؤهلين ظاهريًا بالإضافة إلى كادر جديد من المؤلفين المعادين للإسلام الذين ينخرطون في قراءة تنقيحية للإسلام والتاريخ الإسلامي. إن الشعور بالتهديد للهوية الثقافية الإسلامية يعزز الشعور السائد بأن الغرب العلماني والمهيمن يفرض قيمه على العالم الإسلامي، فعند طرح السؤال المفتوح ، "ما هو أكثر شيء لا يتوافق مع مبادئك في الغرب؟" كان الرد الأكثر شيوعًا في جميع البلدان الإسلامية لكل من المعتدلين والمتطرفين السياسيين هو "الاختلاط الجنسي والثقافي"، يليه "الفساد الأخلاقي" و "كراهية المسلمين"، مصدر آخر للاستياء يأتي من تصوير المسلمين في وسائل الإعلام الغربية وه ما أكده استطلاع أجراه جاك شاهين في كتابه " Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People" أن الغالبية العظمى من الشخصيات العربية في 900 فيلم أمريكي كانت شخصيات عنصرية، كما أن وسائل الإعلام الغربية الأكثر شعبية في العالم الإسلامي تشجع على محاكاة الموضة والشخصيات والقيم الغربية (MEŠIĆ).

ال. الخاتمة:

من خلال ما تم التطرق إليه خلال محاور الدراسة تم التوصل إلى أن الحرب الإعلامية والصورة غير المتوازنة التي حاولت وسائل الإعلام العالمية ترويجه عن الإسلام والمسلمين قد زادت حدتها بعد أحداث 11 سبتمبر، أين سعت للتسويق لما أصبح يطلق عليه الإسلاموفوبيا. من جهة أخرى تتأثر ديناميكيات استهداف الإطار المعياري للإسلام والمسلمين بشكل أساسي بتوجهات السياسة العالمية، فغالبا ما يتم التعبير عن معارضة هذه السياسات بلغة الإسلام السياسي، ويتم تنفيذ عدد من أعمال العنف باسم الإسلام، كما يوفر هذا الواقع الذريعة المثالية لمن يريدون تشويه الإسلام بشكل عام، بحيث لا يترددون في إخراج هذه الأعمال من سياقها السياسي وتفسيرها بالعوامل المتأصلة في الإسلام كعقيدة دينية. وهذا يدل على أن الخطاب الإعلامي ضد الإسلام لا يمكن تقييمه بمعزل عن المجتمع الدولي وتوجهات فواعل السياسة العالمية، وبذلك ولمواجهة مختلف أشكال الحرب الإعلامية الغربية وحماية هويتنا الدينية لابد على الدول الإسلامية أن تتجاوز خلافاتها والسعي لتوحيد وتقوية منظومتها الإعلامية كآلية للترويج للصورة الفعلية للإسلام والمسلمين، ودمج المواطن في هذا السياق من خلال دفعه للتمسك بقيمه وهويته الدينية.

الإحالات والمراجع:

1. Abukhalil Asad, The Battle for Saudi Arabia: Royalty, Fundamentalism, and Global Power, (New York: Seven Stories Press, 2003)
2. Bowering Gerhard, Islamic Political Thought: An Introduction, (Princeton: Princeton University Press, 2015)
3. Dreyfuss Robert, Devil's Game: How the United States Helped Unleash Fundamentalist Islam, (New York: Henry Holt and Company, 2005)
4. Fuller Graham, The Future of Political Islam, (New York: Palgrave Macmillan, 2004)
5. Hoover Stewart, Media and religion The Center for Media, Religion, and Culture, (USA: The Center for Media, Religion, and Culture University of Colorado at Boulder, 2008)
6. Hoover Stewart, Religion and the Media in the 21st Century, Trípodos, no.29, 2012
7. Hosseinzadeh Afsaneh, The Role of Social Media in Religion: Dialogues or conversations?, October 2011, from: <https://2u.pw/RMQf1>
8. Kumar Deepa, Political Islam: A Marxist analysis, International Socialist Review 76, May 2011,
9. Yeganeh Mahmood Kabiri, Notion Of National Media On Political Islam And Muslims; (20:30 TV NEWS). Kuwait Chapter of Arabian Journal of Business and Management , vol.03, no.09, May 2014
10. Hirschkind Charles, What is Political Islam, Winter 1997, Consulté le 19 April 2021, from: <https://2u.pw/KoIw7>